



Uluslararası Sempozyum

International Symposium

المؤتمر العالمي

3-5 Ekim - October 2004 Istanbul / Turkey

٣-٥/١٠/٢٠٠٤ استانبول - تركيا

المؤتمر العالمي السابع  
لبديع الزمان سعيد النورسي

# ممارسة حياة ايمانية فاعلة

في سلام ووثام في عالم متعدد الثقافات  
من خلال رسائل النور

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

Ekim 2004

الترقيم الدولي

ISBN: 975-269-043-2

شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع

## ماهية الحياة ومغزاها كما بينها الإمام بديع الزمان النورسي

د. أحمد داود شحروري  
جامعة الزيتونة - الأردن

أولاً : غاية الحياة ومغزاها

1) سؤال يعرض له الإمام النورسي بكل جلاء وإصرار :  
(ما الحياة التي هي تجلّ أعظم لاسم الله (الحي الحيي)؟ وما ماهيتها؟ وما مهمتها؟  
ويجيب عنه بطريقة غير تقليدية، تسبر غور سر الكون، وتنبئ بفهم لحقيقة الأشياء  
كما هي، لا بل كما يشيئها موحد الأشياء، فيقول :  
(جواب هذا السؤال ندرجه على صورة فهرس، على النحو الآتي : الحياة هي لهذه  
الكائنات، أهم غاية، وأعظم نتيجة، وأسطع نور، وألطف خميرة، وأصفى خلاصة،  
وأكمل ثمرة، وأسمى كمال، وأزهى جمال، وأبهى زينة، وهي سر وحدتها ورابطة اتحادها،  
ومنشأ كمالها، وهي أبداع ذات روح فيها، من حيث الإلتقان والماهية، وهي حقيقتها  
المعجزة، تصير أصغر مخلوق عالماً بجد ذاته ... وهي صنعة إلهية حارقة تكبر الجزء الضئيل  
إلى أكبر كل، حتى إنها تجعل الفرد بحكم العالم وكأنه كلي .... وهي ماكنة نظيفة  
عظيمة، وجهاز استحالة عجيبة في مصنع الكائنات، حيث تقوم بالتصفية والتطهير في  
كل نواحيه، فتظهر الشيء وتمنحه الرقي وتنوره، وكأن الجسد الذي هو عش الحياة دار  
ضيافة لقوافل الذرات ومدرستها ومعكسرها، تتعلم فيه وظائفها وتندرب على أعمالها،  
فتتنور وتضيء.....) (1).

2) ويسهب الشيخ في تعريف الحياة ومظاهرها وأسرارها وعجائبها حتى يوصل  
القارئ إلى أنه يتحدث عن حياة لا تتوقف، وأسرار لا تنطفئ، وعجائب يستحيل معها  
أن يكون الكلام عن حياة لها حدود، ذلك لأن الحياة الحقيقية هي التي تقود صاحبها إذا  
استثمرها لعالم الخلود، وهذا ما يتوصل إليه الإمام رحمه الله إذ يقول : (نعم، إن غاية

هذه الحياة ونتيجتها هي الحياة الأبدية، كما أن ثمرة من ثمارها هي الشكر والحمد والمحبة تجاه واهب الحياة (الحي الحيي) وأن هذا الشكر والمحبة والعبادة هي ثمرة الحياة كما أنها غاية الكائنات .

فاعلم من هذا أن الذين يحصرون غاية هذه الحياة في عيش برفاه، و تمتع بغفلة وتنعم بهوى- إنما يستخفون بجهل مستهجن قبيح بهذه النعمة الغالية الكبرى، نعمة الحياة وهدية الشعور وإحسان العقل، و يحقرونها وينكرونها، بل يكفرون بها فيرتكبون كفراناً عظيماً وإثماً مبيئاً<sup>(2)</sup> .

إن غاية الحياة في نظر الإمام-إذا- أن تمتد بأصحابها فتحملهم إلى عالم الخلود، فليس حياً من غفل عن هذا المعنى فانشغل بأدوات الفناء عن معنى البقاء، فعمّر دنياه وخرّب مآله ومشواه.

وفي تفسيره سورة الفاتحة يركز الأمام على أن غاية الحياة هي العبادة مستشهداً بقوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (الذاريات 56) و الحمد صورة إجمالية للعبادة التي هي نتيجة للخلقة والمعرفة التي هي حكمة وغاية الكائنات<sup>(3)</sup> . كما يرى الإمام يرحمه الله أن من غايات الحياة معرفة الله " رب العالمين" (إن العالم اسم ما يعلم به الصانع ويشهد عليه ويشير إليه)<sup>(4)</sup> .

2) وتحت عنوان: (في بيان جوهره من كنوز "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" في المتنون العربي يُلَقِّق الإمام في عبارات روحانية يؤكد فيها أن العبادة غاية الحياة ويختتم بقوله: (وما ماهية حياتك إلا خزينة وخريطة وأ نموذج وفذلكة ومقياس وميزان وفهرسة لغرائب آثار جلوات أسماء خالق الموت والحياة، وما صورة حياتك إلا كلمة مكتوبة مسموعة مفهومة لأسمائه الحسنئ، وما حقيقتها إلا مرآيتها لتجلى الأحدية، وما كمالها في سعادتها إلا شعورها بما تمثل فيها مع المحبة والشوق لما هي مرآة له، وأما سائر ذوي الحياة فيشاركونك في بعض الغايات المذكورة لكن لا يساؤونك، إذ أنت المرآة الجامعة كما روي " ما يسعني ارض ولا سماء ويسعني قلب عبدي المؤمن "<sup>(5)</sup> .

3) ومن غايات الوجود -كما يراها الأمام- معرفة قدر النبي p الموصلة إلى الإيمان الكامل: (وكما أن حقيقته - أي الحقيقة المحمدية- هي سبب خلق العالم ونتيجته وأكمل ثمراته، كذلك تتحقق بها وبالرسالة الأحمدية الكمالات الحقيقية للكائنات قاطبة

إذ تصحح مرايا باقية للجميل الجليل السرمدي تعكس تجليات صفاته الجليلة وآثاره القيمة الموظفة لدى أفعاله الحكيمة حل جلاله، ورسائله البليغة المرسله من الملاء الأعلى، وتعدو حاملة لعالم باق، منتجة لدار سعادة خالدة ودار آخرة أبدية تشتاق إليها ذوو الشعور كلهم، وأمثالها من الحقائق التي تتحقق بالحقيقة الحمديّة والرسالة الأحمدية... فكما تشهد البشرية بهذا على انه  $\rho$  فخر البشرية واشرف المخلوقات، كذلك فإن دخول مثل جميع الحسنات والخيرات التي يكسبها يومياً ثلاثمائة وخمسون مليوناً من المؤمنين في كل عصر، في سجل حسانه  $\rho$  حسب قاعدة "السبب كالفاعل" ونيل تلك الشخصية الحمديّة الفريدة مقاماً رفيعاً يحظى بعبودية كلية وفيوضات ربانية بقدر عبادة مئات الملايين بل المليارات من العباد المحسنين، هو شهادة قوية جداً على رسالته  $\rho$ <sup>(6)</sup>.

وفيما تقدم من كلام الإمام يبرز:

أ- أن النبوة المضافة إلى شخص المعصوم  $\rho$  سبب خلق العالم، ونتيجته وثمره من ثمراته، والنتيجة والغاية سواء. وهذا ما ينص فيه الإمام على أن معرفة المصطفى  $\rho$  غاية من غايات الوجود.

ب- أن النبوة طريق معرفة صفات الله تعالى وهي بذلك تكتسب مكانتها، ويفهم منها كونها غاية من غايات الحياة.

ج- أن النبوة بما تحقّقه من معرفة وما توصل إليه من غاية وهدف سبيل سعادة البشرية، والسعادة بدورها شهادة قوية على صدق النبوة وأحقيتها.

#### ثانياً: فوائد فهم غاية الحياة ومغزاها

ركز الإمام على ثمرات عملية تجتني من فهم غاية الحياة، ووردت الإشارة إلى ذلك في مواضع عديدة من رسائله:

1) من أسباب السعادة كما يقرر الإمام - الإيمان بالآخرة الذي يعطي الحياة حجمها الحقيقي ويردها إلى حقيقتها في نفس المكلف، فهو -يرحمه الله- يرى أن الذي يقطع نفسه عن الإيمان بالآخرة ( لا يرقى أبداً إلى مرتبة الصدق في الوفاء ولا إلى مكانة الإخلاص في الصداقة ولا إلى درجة الود المصفي من الشوائب في المحبة ولا إلى الاحترام المبرأ من الغرض في الخدمة، لأن سعة تلك السجايا والكمالات قد تضاءلت وصغرت بالنسبة نفسها وحينها يتردى الإنسان إلى درك أدنى الحيوانات عقلاً ولكن ما إن يأتي

الإيمان بالآخرة إلى هذا الإنسان لينقذه ويمده ويعيشه ويغيثه حتى يحول ذلك الزمن الضيق الشبيه بالقبر إلى زمان فسيح واسع جداً... (7).

2) ففي الكلمة الثالثة من رسالة الكلمات يشير الإمام إلى فائدة العبادة وهي غاية سامية من غايات الحياة (فمهما يكن للعبادة من حمل ثقيل ظاهراً إلا أن في معناها راحة وخفة عظيمتين لا توصفان ذلك لان العابد يقول في صلاته "لا اله إلا الله" أي لا خالق ولا رازق إلا هو، النفع والضرر بيده، وانه حكيم لا يعمل عبثاً، كما انه رحيم واسع الرحمة الإحسان... نعم إن مبلغ الشجاعة ككل الحسنات الحقيقية هو الإيمان والعبودية وان منبع الجبن ككل السيئات هو الضلالة والسفاهة. فلو أصبحت الكرة الأرضية قبلة مدمرة وانفجرت فلربما لا تخيف عبداً لله ذات قلب منور... إن سعادة الدنيا أيضاً كالأخرة هي في العبادة وفي الجندية الخالصة لله، فعلينا إذاً أن نردد دائماً الحمد لله على الطاعة والتوفيق وأن نشكره سبحانه وتعالى على أننا مسلمون (8).

والإمام كما ترى يذكر للعبادة في كلامه ثلاث فوائد: الراحة والشجاعة والسعادة.

3) ويشير الإمام إلى ما في الإيمان باليوم الآخر وهو غاية من غايات الوجود من سعادة ولذة في نفس المؤمن، أنصت إليه بقوله (فكم يكون الأيمان بالآخرة إذا كترت عظيمًا كافيًا ووافياً لهذا الإنسان الوثيق الصلة بهذه الرغبات والأمثال التي لا تنتهي، وهو لا يملك سوى جزء من الاختيار الجزئي ويتقلب في الفقر المطلق وكم يكون هذا الإيمان محوراً للسعادة المطلوبة واللذة المبتغاة وكم يكون مرجعاً ومدار استمداد وسلوة له تجاه هموم الدنيا غير المحصورة فلو ضحى هذا الإنسان بكل حياته الدنيا في سبيل الفوز بهذه الثمرات والفوائد لكانت إذاً زهيدة (9).

4) ويرى الإمام يرحمه الله أن في ترسم خطى الشرع والتقيد بالسنة النبوية المطهرة ما يطيل العمر ولو عاش صاحبه قليلاً، وما يورث الطمأنينة والسكينة: (فيا نفس إن كنت حقاً تريد أن تنالي عملاً أخروياً خالداً في عمر قصير، وان كنت حقاً تريد أن تري فائدة في كل دقيقة من دقائق عمرك كالعمر الطويل، وان كنت تريد أن تحوي العادة إلى عبادة وتبدلي غفلتك إلى طمأنينة وسكينة، فاتبعي السنة النبوية الشريفة، ذلك لأن

تطبيق السنة والشرع في معاملة ما يورث الطمأنينة السكينة ويصبح نوعاً من العبادة، بما يثمر من ثمرات أخروية كثيرة (10).

5) ويزيد الإمام على فائدة طول العمر - المتحصلة من التقيد بالشرع الشريف - فائدة الخلود والبقاء، فيقول في رسالته للمعات: (أجل إن ثانية واحدة يقضيها الإنسان في سبيل الله الباقي الحق، وفي سبيل محبته، وفي سبيل معرفته وابتغاء مرضاته تعد سنة كاملة، بل هي باقية دائمة لا يعترىها الفناء، بينما سنة من العمر في سبيله سبحانه فهي زائلة حتماً، وهي في حكم لحظة خاطفة... إليها الناس: أتريدون تحويل عمركم القصير الفاني إلى عمر باق طويل مديد، بل مثمر بالمغانم والمنافع فما دام الجواب أن نعم، وهو مقتضى الإنسانية، فاصرفوا إذاً عمركم في سبيل الباقي، لأن أي شيء يتوجه إلى الباقي ينال تجلياته الباقية (11).

ويخاطب الإمام الشباب يحثهم على فهم غاية الحياة أدق ما يركز عليه - فرح الشباب بفتوهم وكرههم لزوالها، فيجعل أول فائدة للفهم دوام الشباب: (فإذ ما بذل الشباب ما يملك من طاقة مؤقتة في سبيل الخير والصلاح، ضمن دائرة الطهر والعفة والاستقامة فإن الأوامر السماوية كلها تبشره بأنه سيغنم به شباباً باقياً لا زوال له (12). كما يركز على ما تعينه فترة الشباب لأهلها إذا هم احسنوا الفهم: (إذا قضى الشباب عهد شبابه بما أمر الله به واتبع الصراط السوي، واستقام عليه، فإنه يجعله أحلى نعمة إلهية واجمل هبة رحمانية، ويتخذها سبيلاً قوياً ممهداً إلى الصالحات من الأعمال ولا ثمر له كذلك شباباً ناضراً وفتوة خالدة دائمة في الآخرة بدلاً من هذا الشباب الفاني الزائل (13).

6) عدم الخروج عن سؤال في ملحق قسطموني - عن عدم رغبته في تلقي أي خبر عن أحوال العالم في فترة من فترات حياته كانت الدنيا تموج فيها بالفتن والحروب، فيظهر لك من جوابه وضوح الهدف وخطورة الغاية وإبائه تقديم غيرها عليها، لذلك فقد انشغل بخدمة رسائل النور عن كل ما سواها تحقيقاً للهدف والغاية. (ينبغي أن تكون الحقائق الإيمانية أول مقصد وأسبقه في هذا الزمان، وتبقى سائر الأمور في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة، وفي الوقت الذي ينبغي أن تكون خدمة الحقائق الإيمانية برسائل النور أجلّ وظيفة وموضع اهتمام ولهفة مقصودة بالذات، إلا أن أحوال العالم الحاضرة ولا سيما الحياة الدنيوية، ولا سيما الحياة الاجتماعية والحياة السياسية خاصة وأخبار

الحرب العالمية بالأخص التي هي تجل من تجليات غضب الله النازل عقاباً لضلالة المدينة الحاضرة وسفاهتها - والتي تستحيل الناس من جانبها وتميج الأعصاب والعروق حتى تدخل إلى باطن القلب، بل حتى مكنت فيه الرغبات الفاسدة المضرة بدلاً من الحقائق الإيمانية الرفيعة النافعة ... (14).

رحم الله الإمام فقد كان وضوح غاية الحياة في عقله وقلبه كشافاً يهتك ستر الظلمة التي عشعشت في قلوب كثيرين من معاصريه الذين انشغلوا بتحديد الأسباب المادية للحرب العالمية وعزوها على تضارب مصالح المتحاربين، في حين وضع الإمام إصبعه على الجرح الحقيقي حيث وصف الحرب بأنها تجل من تجليات الغضب الإلهي على أهل المدينة المعاصرة الحر لخروجهم عن الجادة وضياعهم عن طريق الغاية والهدف .

7) من فوائد فهم غاية الحياة - كما يراها الإمام- تحقيق الصدق والبعد عن الكذب . (أجل إن الصدق هو عقدة الحياة في حياة الإسلام الاجتماعية ... إن الكفر بجميع أنواعه كذب، والإيمان إنما هو صدق وحقيقة، وعلى هذا فالبون شاسع بين الصدق والكذب ... إن الصدق والكذب بعيدان أحدهما عن الآخر بعد الكفر عن الإيمان (15) . وربط الإمام بين الصدق وغاية الحياة واضح في عبارته كما ترى .

8) وتحقيق المحبة فائدة أخرى من فوائد ونتاج فهم غاية الحياة عند الإمام (اجل إن أسباب المحبة هي الإيمان والإسلام والإنسانية وأمثالها من السلاسل النورانية المتينة والحصون المعنوية المنيعة. أما أسباب العداوة والبغضاء تجاه المؤمن فإنما هي أمور خاصة تافهة تفاهة الحصيات، لذا فإن إضمار العداة لمسلم إضماراً حقيقياً إنما هو خطأ جسيم لأنه استخفاف بأسباب المحبة التي هي أشبه بالجبال، نحصل مما سبق أن الود والمحبة والاحوة هي من طباع الإسلام وروابطه (16).

### ثالثاً: أضرار وأخطار عدم فهم غاية الحياة

في عدد من رسائل الإمام- يرحمه الله- يعرض لأضرار تلحق بمن على عينيه غشاوة تمنعه من فهم غاية الحياة، ولا يكتفي بذكر الأضرار، ولكنه يتبعها ببلسم يصفه لمرضى القلوب يذهب عنهم غشاوتهم، في كل موضوع يذكر فيه ضرر من أضرار عدم الفهم، يظهر هذا البلسم مظهر منفعة من منافع الفهم، لكن آثرت ألا أذكرها في المنافع السابق

ذكرها لأنها ليست مستقلة وإنما جاء ذكرها تبعاً وإنما جاء ذكرها تبعاً لذكر الأضرار ودرءاً لها :

1) خسارة من لم يفهم غاية الحياة كبيرة، استمع إلى الإمام يعبر عن ذلك ببلاغة وهو يقول (فالإنسان الذي تاه في كثرة المخلوقات وغرق في الكائنات واخذ حب الدنيا حتى غره تبسم الغانيات وسقط في أحضانها، لاشك أن هذا الإنسان يخسر خسراً مبيناً إذ يقع في الضلال والفناء والعدم أي يعدم نفسه معنى ولكن إذا رفع هذا الإنسان رأسه واستمع بقلب شهيد لدروس الإيمان من لسان القرآن وتوجه إلى الوجدانية فإنه يستطيع أن يصعد بمعراج العبادة إلى عرش الكمالات والفضائل فيغدو إنساناً باقياً<sup>(17)</sup> .

2) وفي سطور قليلة يحشد الإمام صفات سلبية عديدة للمفتقر الى فهم غاية الحياة : (واعلم أن كل الألم في الضلالة وكل اللذة في الإيمان .... فبالله عليك كيف حال هذا الشخص إن لم يعتقد بالمبدأ أو المعاد والصانع والحشر ؟ أنظن جهنم اشد عليه من حالة واخرق لروحه؟ فإن له حالة تركبت من الخوف والهيبة والعجز والرعدة والقلق والوحشة واليتم والبأس لأنه إذا راجع قدرته يراها عاجزة ضعيفة وإذا توجه إلى تسكين حاجاته رآها لا تسكت، وإذا صاح واستغاث لا يسمع ولا يغاث فيظن كل شيء عدواً ويتخيل كل شيء غريباً فلا يستأنس بشيء ولا ينظر إلى دوران الأجرام إلا بنظر الخوف والدهشة والتوحش المزعجة للوجدان . ثم تأمل في حال ذلك الشخص إذا كان على الصراط المستقيم واستضاء وجدانه وروحه بنور الإيمان، كيف ترى إذا وضع قدمه في الدنيا وفتح عينيه فرآى مهاجم العاديات الخارجية يرى إذاً نقطة استناد يستند إليها في مقابلة تلك العاديات وهي معرفة الصانع فيستريح<sup>(18)</sup> .

3) يعد الإمام شعور الغافلين بالسعادة وهمماً ما داموا بعيدين عن دينهم، والوهم ضرر وحظر لأنه يبعد صاحبه عن الحقيقة، وفي سبيل إيصال هذه الفكرة يتألق - يرحمه الله - في رسم صورة تعجز ريشة فنان عن تجليتها، يقول (اعلم يا من يتوهم اللذة والسعادة الدنيوية في الغفلة وفي عدم التقيد بالدين أبي جربت نفسي مرة فرأيتني على جسر امتد من رأس جبل إلى رأس جبل شاهقين، وتحتها واد عميق في غاية العمق، وقد أظلم علينا الدنيا بما فيها، فنظرت في يميني الماضي فما رأيت إلا ظلمات عديمة مدهشة، ثم في يساري المستقبلي فما رأيت إلا غياهب مهددة دهّاشة، ثم إلى تحتي فرأيت عمقاً إلى

اسفل سافلين، ثم إلى فوقني فما رأيت إلا غيماً بكماً صماً يمطر الغم واليتم واليأس والبأس، ثم في أمامي فرأيت من خلال الظلمات عفاريت وعقارب وليوثاً وذئاب كأشيرة أسنانها للافتراس، ثم في خلقي فما رأيت مدداً ولا مغيناً ولا معيناً، فبينما أنا مدهوس مأبوس نادم من تجربتي، إذ تنتهي الهداية الربانية، فرأيت وتطلع على الأيام قمر الإسلام وأشرقت شمس القرآن، فرأيت جسراً للحياة طريقاً تمر بين جنان النعم السبحانية وتنتهي إلى جنة الرحمة الرحمانية، ويميني الماضي بساتين مزهرة بالصلحاء، منورة مثمرة بالأنبياء والأولياء، تجري من تحتهم انهار الدهور، وهي في البقاء خالدون . ويساري فراديس تزهر فيها الآمال والأمان برحمة الحنان المنان، وفوقنا سحائب الرحمة تفيض علينا ماء الحياة، وفي خلالها تبتسم الشمس بأنوار الهداية والسعادة الأبدية .

وأما ما في أمامي من الكائنات فأخواني وأحبابي وأنعام مؤنسات صورتها ظلمة الضلالة وحوشاً موحشات، فقرأت علينا هذه الواقعة "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات" (البقر 257)<sup>(19)</sup> .

ولا يحسن بعد هذا التجلي من تعليق إلا أن يستقر في ذهن القارئ عظم الفرق بين فهم وعدم الفهم وصدق الله العظيم (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (الزمر 9) اللهم لا يستويان.

4) يبين الإمام أن من أضرار عدم فهم غاية الحياة الخروج (من دائرة ما احله الله من الطيبات الكافية لكي يفهم إلى الدخول في دائرة ما حرمه الله من الخبيثات المنغصة التي تجبرهم على ترك بعض شعائر دينهم أو ترك دينهم)<sup>(20)</sup> .

5) وغير الفاهم غاية الحياة لا يكفيه جهل نفسه، بل هو يجتهد في دعوة سواه لضلالة ليصيبهم ما أصابه من العمى فبأمثال هذا يقول الإمام (فاعلم أن تلاميذ المدينة السفينة وطلبة الفلسفة السقيمة المضلة قد سكرُوا باحترافات عجيبة وتفرعات غريبة، فجاؤوا يدعون المسلمين إلى اتباع عادات الأجانب وترك شعائر فيها شعور وإشعار بأنوار الإسلام فيقابلهم تلامذة القرآن بـ " يا أيها الضالون الغافلون إن قدرتم أن ترفعوا من الدنيا الزوال والموت، ومن الإنسان العجز والفقير، فاستغنوا عن الدين وشعائره، وإلا فاحسبوا واطرخوا وسوستكم ودمدمتكم التي هي من كزممة الذباب ... فإن أردت

أن لا تبقى أشقى وأذل وأحمق وأضل من جميع الحيوانات فأنصت واسمع بسمع الإيمان بشارة القرآن بإعلان "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم " (يونس 62-64) <sup>(21)</sup> .

#### رابعاً: من دلائل فهم غاية الحياة ومغزاها

كما حرص الإمام على بيان غاية الحياة ومغزاها، وفوائد معرفة ذلك وأضرار الجهل به، حرص أن ينصب بعض الدلائل على فهم الفاهمين و يشير إلى عدم التوفيق لذلك في موضع متفرقة من رسائله .

1) واعظم دليل على فهم المكلف غاية أن يؤمن بربه فيعمل صالحاً، أوضح دليل على عدم الفهم كفره بربه فيعمل قبيحاً، ولست أبالغ إذا قلت أن شاهد هذه الحقيقة من كلام الإمام رسائله هو كلامه كله، لأنك تراه في كل مسألة أو تفريع أو بيان أو استنباط أو استطراد يضع الإيمان في كفه والكفر في كفة أخرى، فيبني على كل منهما ما يرتبه في حق صاحبه من حال دنيوي وأخروي <sup>(22)</sup> .

تأمل سؤالاً يطرحه الإمام ليجيب عنه بعد ذلك : (ترى ما اللذة لحياتي الدنيوية وما سعادتها ؟ راجعت الآية الكريمة أيضاً " حسبنا الله ونعم الوكيل " لأجد الجواب فرأيت وفهمت منها أن أصفى لذة وأنقى سعادة لحياتي هذه إنما هو الإيمان أي الإيمان الجازم بأبي مخلوق من خلقتي ورباني، فأنا مصنوعة وعبدته وتحت رعايته ومحتاج إليه كل حين، وهو ربي والهي وهو الرحيم والرؤوف بي . فيإيماني هذا لذة ما بعدها لذة، لذة كافية وافية دائمة، وسعادة خالصة لا يعكرها ألم، ففهمت من تلك الآية الكريمة كم يكون إذاً عبارة " الحمد لله على نعمة الإيمان " عبارة جديرة ولائقة <sup>(23)</sup> .

2) علاقة الدنيا بالآخرة : تتجلى لك علاقة الدنيا بالآخرة في رسائل الإمام من خلال ما يلي :

أ- الدنيا مزرعة الآخرة : في مواضع تفوق الحصر من رسائل الإمام حديث رائق عن علاقة الدنيا بالآخرة مختصرة أن الدنيا مزرعة الآخرة (إن الدنيا مزرعة ومعمل ينتج المحاصيل التي تناسب سوق الآخرة، إذ كما أن أعمال الجن والإنس ترسل إلى سوق

الآخرة، كذلك تؤدي بقية الموجودات في الدنيا أعمالاً كثيرة أيضاً في سبيل الآخرة وتنشئ محاصيل وفيرة لها، بل تجري كرة الأرض لأجل تلك الأعمال.

لاشك أن أهل الجنة يرغبون أن يتذكروا خواطهم في الدنيا، ويتجاوروا فيما بينهم حول ذكرياتها، وربما يتلهفون لرؤية ألواح "مشاهد" تلك الذكريات والحوادث ومناظرها، إذ يستمتعون كثيراً بمشاهدة تلك الحوادث وتلك الألواح كمن يستمتع بمشاهدة المناظر على شاشة السينما فما دام الأمر هكذا فالجنة التي هي دار اللذة ومثل السعادة توجد فيها لامحالة المناظر السرمدية لمخاورات الأحداث الدنيوية ومناظر أحداثها، كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة " على سرر متقابلين " (الحجر 47) (24).

ترى هل يكون هذا الفهم للعلاقة بين الدنيا والآخرة إلا لمن نور الله تعالى قلبه بفهم غاية الحياة ومغزاها ؟

ب- الموت وسيلة للبقاء : إن فهم غاية الحياة يريح صاحبه لما يسكن قلبه من طمأنينة إزاء ظاهرة الموت و الفراق، وأنها وسيلة البقاء الحقيقي، ولأجل هذه الفكرة يضرب الإمام مثلاً (عندما تشاهد والدة عجوز طفلها الوحيد الذي تحبه حباً خالصاً يتقلب في السكرات، يذهب فكرها حالاً إلى رقوده في تراب القبر بدل فراشه الناعم الوثير، لما تتصور الموت عدماً وفراقاً أبدياً، لتوهمها الخلود في الدنيا نتيجة الغفلة والضلالة، لذا لا يخطر على بالها رحمة الرحمن الرحيم ولا جنته ولا نعمة فردوسه المقيم، فأنت تستطيع أن تقيس من هذا مدى ما يعانيه أهل الضلالة والغفلة من ألم وحزن وبأس على بصيص من أمل، بينما الإيمان والإسلام وهماً وسيلتا سعادة الدارين يقولان للمؤمن : أن هذا الطفل الذي يعاني ما تعاني من سكرات الموت سيرسله خالقه الرحيم إلى قدس جنته بعد ما يخرج من هذه الدنيا القذرة زد على ذلك انه ستجعله لك مشجعاً، كما سيجعله لك أيضاً ولداً أبدياً فلا تقلق إذاً ولا تغتم بالفراق مؤقت، واصبر قائلاً "الحكم لله" (25).

ج- دور الموت في فهم معنى الحياة: من لطائف إشارات الإمام إلى العلاقة بين الحياة والموت ما يبينه من دور الموت في فهم معنى الحياة : (إذا أكل الإنسان فواكه طيبة فإنها تتجزأ وتتلاشى في معدته وتمضم وتمحى ظاهراً إلا أنها تعطي كل خلية من خلايا جسمه لذة وذوقاً ضمن فعالية، فضلاً عن الفم والمعدة ويكون مدار حكم كثيرة جداً كإثراء

الحياة في أقطار الجسم وإدامتها، والطعام نفسه يرقى من الوجود النبائي إلى مرتبة حياة الإنسان وكذلك عندما تختفي الموجودات وراء ستار الزوار تظل بدلاً عنها تسبيحات باقية كثيرة جداً لكل موجود من الموجودات، وتودع كثير من الأسماء الإلهية ومقتضياتها في يد تلك الأسماء، أي تودعها إلى وجود باق، وهكذا تمضي وترحل.

ترى لو بقيت ألوف من أنواع الوجود التي نالت نوعاً من البقاء بديلاً عن وجود مؤقت فإنه يمكن أن يقال يا حسرة على ذلك الوجود المؤقت ! وأنه مضى إلى عبث، أو لم رحل هذا المخلوق اللطيف ؟ أفيمكن أن يشتكي على هذه الصورة ؟

بل إن الرحمة والحكمة والمحبة في حق ذلك المخلوق تقتضي هكذا، بل هو هكذا، وإلا يلزم ترك ألوف المنافع للحيلولة دون حدوث ضرر واحد وعندئذ تحدث ألوف الأضرار .

بمعنى أن الأسماء الحسنى الرحيم، الحكيم، الودود، تستلزم مضي الموجودات وراء ستار الزوال والفراق، وتقتضيهما ولا تعارضهما<sup>(26)</sup> .

د- تفضيل الدنيا على الآخرة علامة على عدم فهم معنى الحياة: يعقد الإمام مسألة في ملحق قسطنطيني عنونها (لم تفضل الدنيا على الآخرة) عد فيها تفضيل الدنيا على الآخرة مرضاً (والحال أن هذا العصر قد غرز حب الحياة الدنيوية في عروق الإنسان، حتى إنه يترك أموراً دينية ثمينة جداً كالألماس لحاجة صغيرة تافهة أو لئلا يصيبه ضرر دنيوي اعتيادي، نعم إن هذا العصر الذي رفعت منه البركة من جراء الإسراف المتزايد وعدم مراعاة الاقتصاد، ومن عدم القناعة مع الحرص الشديد فضلاً عن تزايد الفقر والحاجة والفاقة وهموم العيش، مما سبب جروحاً بليغة في تطلع الإنسان للعيش، وفي نزوعه لحفظ الحياة، علاوة على تشعب متطلبات الحياة المرهقة، زد على ذلك استمرار هل الضلالة بتوجيه كل الأنظار إلى الحياة، كل ذلك عمق تلك الجروح حتى دفع الإنسان ليفضل أدنى حاجة من حاجات الحياة على مسألة إيمانية عظيمة.

نعم، انه لا يصمد اتجاه هذا المرض العجيب لهذا العصر العجيب ولسقمه الرهيب إلا رسائل النور الناشرة لأدوية القرآن المبين التي لها فعل المضاد للسموم، و لا يمكن أن يقاوم هذا المرض العضال إلا طلاب رسائل النور الأقوياء الثابتين الذين لا تزعزعون الخالصون الصادقون المضحون<sup>(27)</sup> .

وفي كلام الإمام:

- 1- وصف لحال عصر فضّل كثير من أهله الدنيا على الآخرة .
- 2- وصف لمن فضل الدنيا على الآخرة بالضلّال، وهذا يعني ضياعهم عن معرفة غاية الحياة ومغزاه.
- 3- وصف للدواء القرآني المبين المتضمن في رسائل النور .  
وبالنور وبرسالته أحتّم هذه الورقة التي أسأل الله تعالى أن يتقبلها .

### الخاتمة

يا رب المحامد كلها، يا إله الفضل، يا مليك الجمال والكمال ،  
يا رب القلوب، والنفوس والآجال  
أحمدك حمداً لا يجد ولا يعدّ ولا يحصيه أحد أن أكرمتني بالتنور برسائل النور،  
وأثحت لي التلمذة على إمام مدرسة النور حيث أبحرت على متن (الكلمات) و  
(المكتوبات) و (اللمعات) و(الشعاعات) وأخواتها .... لكن أتني لمثلي أن يغوص، ولما  
يجد العموم بعد ؟  
وعزائي أنها محاولة للفهم عسى أن أقبل على الله بها، فأقول يا رب : ها قد بدأت،  
فأقبل بدايتي، في طريق الوصول إلى غاية الحياة ومغزاه .  
يا رب، أتقبل مني فهمي بأن غاية الغايات من هذا الوجود رضاك، واللجوء إلى  
حماك؟!!

أتقبل مني أن أهم فائدة لهذا الفهم أن أعيش سعيدا برضاك  
أتقبل مني أن أهم ما يحذر من عدم الفهم اللجاجة في الضلالة والعمى ؟  
أتقبل مني أن يستقر في نفسي أن علامة الفهم ألا أأمل في غير عطائك وألا انشغل  
بدنياي عن يوم لقاءك.  
يا رب ... هل فهمت عن بيدع الزمان لأعيش في أمان؟! أسأل الله تعالى  
ذلك.

والحمد لله في الأولى والآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

الهوامش

- 1 انظر للمعات 557-560
- 2 للمعات ص 560
- 3 إشارات الإعجاز ص 27
- 4 المرجع نفسه
- 5 انظر المثنوي العربي 38-383
- 6 الشعاعات ص 655
- 7 الشعاعات ص 279
- 8 انظر الكلمات ص 13 و 14
- 9 الشعاعات ص 278
- 10 الكلمات ص 316
- 11 انظر للمعات ص 24\_25
- 12 الشعاعات ص 255
- 13 المصدر السابق ص 256
- 14 الملاحق - ملحق قسطنوني ص 149
- 15 صيقل الإسلام ص 506 و 507
- 16 المرجع السابق ص 510
- 17 الكلمات ص 418
- 18 إشارات الإعجاز ص 37
- 19 المثنوي العربي النوري ص 290-291
- 20 المرجع نفسه 358
- 21 المرجع السابق 360-361
- 22 انظر الكلمة الثانية (الذين يؤمنون بالغيب) الكلمات ص 9-ص 11
- 23 الشعاعات ص 84
- 24 المكتوبات ص 380
- 25 المرجع نفسه ص 99-100
- 26 المكتوبات ص 381-382
- 27 الملاحق - ملحق قسطنوني ص 143